

بين الامم سهلت لهم الاطلاع على عبادات بعضهم وتبادل الاقتباس . ولهذا تجد الديانة عند اليونان متكيفة عن اصولها بما داخلها من التحوير والاصلاح
وليس هذا الاقتباس متحصراً في الامتين بل تجد كثيراً من الامم تأخذ ضرباً من عبادتها عن غيرها او تدخل في زون ارتباطها وتناجد بدأكا سنين ذلك في فرصة اخرى
جرجي بني

الانتحال

او سرقة الشعر والنثر

قال طرفة بن العبد

”ولا أُغِير على الاشعار اسرقها غنيتُ عنها وشرُّ الناس من سرقا“

ولو كان في ابامنا لقال

والنثر كالشعر ايضاً من نَجَلُهُ عليه بين الوري اسم السارق انطبقا

يطلق السارق او اللص على من يعمد الى جدران البيوت والناس نياماً والليل مريحاً سدوله فينقبها وينسل الى داخلها ويمسح خلال النوافذ والمخارج ويتلطف ما خفت حمله وغلابة ثنته او على من يترصده ابناء السبيل مرابطاً مباحثاً حتى اذا هبطوا بطن وادوا جازوا قفراً خالياً انقض عليهم من مكان الطريق او مغابن الكهوف وسلمهم ما لهم واشياهم . او على خارب الابل وناهب المواشي او على من يخطف اولاد السود من عن شفة نهر او جانب غابة او حضيض جبل وبيعتهم للفخاسين بيع السمح او على خاطف السمع الذي يسرق ما يوحى به ويحلي فريسي بالرجم من الجو الاعلى

هو لاء يعرفهم القاري بانهم سراق ولصوص لانهم يخطفون ويغربون ويسيون وينهبون وهم مذنبون بحكم جميع الشرائع والادبان ومذمومون بكل شقة واسان . لكنه قد يجهل ان بين اهل التصحية نريقاً يتلف ما هو اكرم من المال ويتخطف ما يفوق كل عزيز وغال وهو آمن في سريره مطمئن في قلبه لا تناله يد القانون باخف جزاء . ولا يعكر عليه الرأي العام اقل صفاء . وهو المنقض على سراق البيوت وقطاع الطرق وخراب الابل من على منبر الخطابة بصراعي المطاعن والمثالب . والمرهف من غمد جريدته او ديوانه او كتابه افلاماً
امقي من السيوف القواضب

هؤلاء يشنون غارة شعوية على ميكرات الفرائح ومواليد العقول وتناجح الافكار وينتهبون ما شاؤوا من منظوم او منشور ويتخلونهُ اي يدعونهُ لانفسهم غنيمة باردة ورزقا مشاقا كانهم اوتوه حلالا طيبا وهو السمح الحرام

ومعلوم انه شاع قديما بين العرب شيء من السرقة الشعرية كان يستعين الشاعر بصديقه او بغيره او يبيت كامل لشاعر آخر او يلجئ بمعنى سبقه اليه غيره دون ان يشير الى ذلك بكلام يدفع عنه تهمة الاتحال . على ان العرب لم يسمحوا به مع كونهم طفيفا بل انكروه وعدوه سرقة كما مر بنا في صدر هذه المقالة . وكان عزة النفس التي عرفوا بها واثرت عنهم وقتهم عند هذا الحد من الاتحال فلم يُنقل عنهم أنهم اعدوه الى اكثر من ذلك او تجاوزوه الى النثر المسجع والكلام المرسل . ولا سمعنا قط ان كاتباً منهم تعدد اتحال مقالة لغيره بل من يراجع تأليفهم ومصنفاتهم يجدهم اشد الناس احتراساً من انصراف اقل تهمة اليهم من هذا القبيل واعظم كتاب الارض ترفعا عن مثل هذه الدنابا واسبق ارباب الاقلام الى الاعتراف بفضل من تقدمهم وذكر من نقلوا عنه واستعانوا بكلامه على تأييد ما قصدوا اثباته او نقض ما ارادوا نفيه . واذ لم نعرف عندهم علامات الاقتباس التي شاعت عندنا في هذه الايام نقلنا عن اللغات الاوربية كانوا يدئون على ما يأخذونه عن غيرهم بكلمة قال و بكثرون من تكرارها الى حذر يوجب السامة ويورث الملل

اما في هذه الايام فقد زاد سواد المتخلين حتى كاد عدد سراق القصائد والمقالات يربي على عدد الشعراء الحقيقيين والكتاب الصادقين . وقد بلغت بهم الجرأة حدا لا يجيب بعده ان رأيتهم يفعلون بارباب الاقلام ما فعله لصوص مكدونية والمغرب الأقصى خمس ستون والولدين الاسبانيين فيحفظون أسلهم قريحة واجرام براتا الى حيث يمتقلونهم ويفترسون عليهم نظم الداووين وانشاء المقالات وتآليف الكتب وتعريب الفصول فكأ كما من الاسر وفداء من الاعتقال

وهذه النكبة الفادحة التي رمزى بها اصحاب الاقلام في الشرق هي من اكبر آفات النشأة الادبية والنهضة العلمية كان نكد الحد أبي ان يفارق الشرق فلا يكاد يجناز في طريق ارتقائه عقبة كبرودا حتى تعترضه عقبات ولا يظفر بالتغلب على آفة حتى يلاقي بعدها آفات والا فقل لي في اي بلاد غير بلادنا يقوم أناس ادعياء يحدون شعراءها وكتابتها على موتهم او على رزقهم الضيق الراشح من شق القصة فينتحلون قصائدهم ومقالاتهم ويدعون الشعر والكتابة والصحافة بلا استحقاق واستعداد كدعوى آل قيس في زياد . ويزيدون بضاعة

الادب كاداً يقطع منها وتبين الرواج والنفاذ
ولما وُظِّت النفس على الكتابة في هذا الموضوع عولت على حصر البحث في الانتحال الثري
الذي استشرى خطيئته واستطار شره في مصر والشام وأصبح ضريبة على ارباب الاقلام . لكنني
اذ اطلعتُ احد اصداقائي على مرادي رغب اليّ أن أوسع للانتحال الشعري مجالاً في البحث
لأنه بات ايضاً داءً فاشياً فامثلت اشارته وعولتُ ان اكتفي من ذلك بذكر حادثتين
فقط احدهما أن احد مشاهير الشعراء في بيروت عزم علي جمع ما تفرق من شعرو ليطبعه
ديواناً فأعلن ذلك في الجرائد وطلب صورة بعض قصائده ومقاطعته من صديق له فانكرها
عليه بتاتا وبعد البحث عن علّة انكاره لما ظهر انه ضمها الى ما عنده من بضاعة الشعر
المرجاة متوقفاً وفاة ناظمها اطال الله عمره فيطبعها متخلاً لها يراً بعهد الصداقة والادب
وخلطاً للدرّ بالخشب

والثانية ان احد المشاعرين او الشعارير كلفني ان انظم تاريخاً في تهنئة وجيه انم
عليه بالوسام العثماني وقد اقترح عليّ ذلك احد اصداقائه مصداقاً دعواه في الشاعرية فاجبتُ
طلبه ونظمت التاريخ ولما اعطيته اياه سألتُه أن يحفظ لي صورته ويردّها اليّ بعد نقلها
فوعدني ذلك ثم اتقضت الايام والشهور ولم احصل من تذكيري له بالوعد على سوى المطل
والتسويق واخيراً علمتُ انه ادعاها لنفسه وقد مرّ في صورتها الاصلية حتى لا يبقى لي سبيل
الى اثباتها بين منظوماتي لكن سوء الطالع خيب رجاءه وكذب ظنه من حيث لم يدر فاني
عثرت لها بعد ذلك على اصل بين اوراق ودوتتها عندي

وفيما انا عازم على اثبات هاتين الحادثتين بالتفصيل عرض لي بانه ق غريب حادث آخر
شغلت عنده شعابي جدواي فاجتزأت بما قدّمتُ فيهما من الاجمال اليسير . وابقيت
التفصيل لهذا الحادث الاخير

وهو ان صديقاً لي اعطاني نسخة من ديوان الشاعر المشهور المرحوم الشيخ نجيب الحداد
واذ كنتُ لم اطالعهُ من قبل فتحته واخذت اقلب صفحاته لاري موضوع قصائده ومقاطعته
وسائر منظوماته شأن من يطالع كتاباً جديداً فاستمال نظري عنوان قصيدة في وصف القمر
وقبل تلاوتها تذكرت اني لما كنتُ في بيروت عثرتُ في اواخر الربيع الماضي على بعض قصيدة
في الموضوع نفسه لاحد شعرائها مدرجة في الجزء الخامس من احدي مجلاتها واسعدني الحظ
ان ذلك الجزء محفوظ عندي فبحثت به على النور وفتحته بازاء ديوان الشيخ نجيب وعكفت
على المقارنة والمقابلة ليلي امتع النفس بمشاهدة شيء من الغرائب والنوادر الناتجة عن نوادر

الخواطر الذي لم يتفرد شعراء العرب في القول به والاجماع عليه الا لسهلوا على المشاعرين
سبيل السرقة فيغيرون على جوهر الشعر المكنون . ويبدلون بالاتجال ماء الحيا المصون وهم آمنون
مطمئنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وما قضيت في هذه المقابلة بضع دقائق حتى رأيت ما قضى بعبي واستفراي وكاد بذهب
برشدي وصوالي . اذ وجدت في بعض تلك القصيدة البيروتية اثني عشر بيتاً مأخوذة من
قصيدة الشيخ نجيب على وجه السخ والمخ وغيرهما من انواع السرقة المنصوص عليها في مطولات
البديع ولعل احسن عذر نتحمله لصاحبها انها سرقة باصول^{??}
ولكي يكون القارىء على بينة من صحة ما ذكرت اثبت في ما يلي ايات الشيخ نجيب
واقابلها بما في القصيدة الاخرى . قال الشيخ نجيب

فزين الارض ليس يغيب عنها ولكن لا يواصلها القرين

يدور بها ولكن حين يدنو يفر فلا يجيب ولا يلدن

اخذه شاعرنا البيروتي فقال

وليد الارض انت ولا وليد سواك بها يخامرها السرور

ولم يبرح بها برا رؤوفا محبا حولها ابدأ يدور

وقال الشيخ

وتصفر النجوم اذا تبدى كما يصفى من حسد جبين

اغار عليه صاحبنا وقال

سمرت وقد علا الزهر اصفرار ولوئها فراحت تسخير

وقال الشيخ

تمر به السحاب مسرعات فيخفي تحتهن ويستبين

سلخه شاعرنا وقال

وتحدك اليوم تمر سرعى فيخفي نور وجهك ذا المور

وقال الشيخ

فحجب منه ان هناك ماء ولا ماء هناك ولا عيون

ولا نبت عليه ولا حياة ولا نسم ولا غيث هتون

مسخه السارق الاصولي وقال

فحجب ان وجهك لبحر ولا بحر هناك ولا غدير

ولا نبت ولا حيوان فيه ولا نغم ولا طير يطير
وقال الشيخ

جنازة ميت لا نعش فيها ولا ابدر حملن ولا انين
تقله استاذنا فقال

كان جنازة لا ميت فيها ولا ندب شباك يد يشور
وقال الشيخ

حوت عجائب فدعاك قوم الها حبة في الناس دين
تناولها ادبنا فقال

وفيه عجائب فدعاه قوم الها فعله في الكون خير
وقال الشيخ

فيا شبة الحبيب حوت منه بهاه وفاتنا منك الفتون
حرفة المعارض البارح فقال

ابا بدر الظلام حوت جلا من الاوصاف يعلمها الخبير
وقال الشيخ

لنا في كل شهر منك شك ولكن ليس يمله اليقين
باراه فيه المجلي فقال

لنا في كل شهر منك هل تعرف ما تهل بك الشهور
وقال الشيخ

وقاك الله كم تفني قرونا ولا تفني حياك القرون
تلقتهم البقي فقال

فكم تفني المصور ولست كهلا تبيض شعر مفرقك المصور
وقال الشيخ في الختام

تري فيك البداية كيف كانت نديما والفتاه متى يكون
وهل يبقى الوجود بلا فتاه وهل نغزو عن الشهب المنون

كواثر ليس يدري السر منها سوى من امره كان ونون
تخطفها خاطر صديقنا في الختام ايضا فقال

اتخبرني البداية كيف صارت وتصدقني الفتاه متى يصير

وهل يبقى البقاء بلا فناء مخلوقٍ وشهب لا تنورُ
 مسائل ما درى الاسرار منها سوى من نعت عزته القديرُ
 هذا ما رأيتُه في بعض هذه القصيدة العامرة فكَم يكون فيها كلها ؟ بل كم يبقى عليها من
 التبريد تجرئدها من الفاظ الشيخ ومعانيه وتمايزه وتراكيبه ؟ أكثر مما بقي من "صبيحة
 طمن" وبقي على القارىء ان يلاحظ الفرق العظيم بين بلاغة الاصل وفهامة الترجع وبين
 متانة قوافي الشيخ وركاكة قوافي النخيل . ولعل شاعرنا البيروقي يدفع عن نفسه تهمة الاتحال
 ويدعي المعارضة ولكن عندي ان دعوى توارد الخواطر اسهل عليه من دعوى المعارضة .
 فلتستك بهذه ويترك تلك عفا الله عنه وتاب عليه . ورحم الشيخ نجيب عداد وإساءة هذا
 الشاعر اليه

وبما يحضرنى من الشواهد على السرقات الثرية افي كتبتُ مقالةً موضوعها "لا توجل
 الى الغد" ونشرتها في الجنان . وبعد نحو سنتين اغار عليها احد المتطفلين على موائد الكتابة
 وعني بنقلها عن الجنان عناية كريمة اليهود بساخة الثورة في قديم الزمان وارسلها الي
 النشرة الاسبوعية فطبع وتُشرت بتوقيعي . ولما اعلمت ادارة النشرة بالامر واطلعتها على
 سرقة ذلك الدعيّ أبت نشر كلامي حفظاً لكرامتي وعندي وعند كل عاقل ان النشرة
 أخطأت باسرافها في الزفق واللفظ اذ لو نشرت ما ارسلته اليها في هذا الصدد لكان في ذلك
 عبرةٌ له وكثيرين من امثاله

ومنذ نحو شهرين نشر المقطم في صدره مقالةً انتاجية عنوانها "الفونسو الثالث عشر
 ملك اسبانيا" فلم يمض على ذلك الا بضعة ايام حتى رايتها مثبتة في احدى الجرائد المصرية
 برمتها دون ان يسبقها اقل كلمة او اشارة تشير الى نقلها عن جريدة اخرى تحت السماء
 وعرب المقطم خطبة ولي عهد انكلترا عن احدى الجرائد الانكليزية وبعد برهة وجيزة .
 صدرت جريدة اسبوعية في القاهرة تيس في يرد تلك الخطبة التشيب غير ذاكرة المقطم ولو
 بكلمة تناد على تجسده مشقة التعريب

ولو شئت ان أشير الى كل ما يسرق منه وينقل على هذا الاسلوب عنه من المقالات
 الكبيرة والقطع الصغيرة لملئت واملئت

لكن المجلة الوحيدة التي توثب فيها سراق النثر في مصر والشام وازدحموا في بابها
 "والمثل العذب كثير الزحام" هي مجلة "المقتطف" التي امتباح اولئك المتحلون مقالاتها
 العلمية والفلسفية وفصولها الاجتماعية والادبية ومباحثها الزراعية والصناعية وفوائدها الصحية

والطبيعية وغير ذلك من مندرجاتها النافعة ومخزوماتها المنيدة فذخرها بعضهم عدة لجريرته
وبعضهم مصدراً لمكتباته وبعض الاماتذة خزائنه لخطب طلبته ومباحثاتهم وبعض الخطباء
والواعظين جعبة لنصائحهم وارشاداتهم ولا تسأل عن الرسائل والنبد والكتب التي ألفت
في العلم والادب والصنائع والننون ووضعت اجزاء لتعليم القراءة وقد شحنت بمقالات المنتطف
وفصوله ومباحثه دون ان يتنازل اصحابها الى التكفير عن سيئاتهم هذه بحسنة واحدة وهي
الاشارة الى ان ما نقله او سرقوه مأخوذ عن شيخ المجلات الذي قضى ستاً وعشرين سنة في
خدمة العلم والادب وترك عشرات الالوف من الصفحات مكتوبة بمداد العمر لا بأسود الخبر
وبيراع المشقة والتعب لا بالقصب وعلى صفحات السهر والاراق لا على قرطاس وورق
وفصول مني ان اشير الى فضل هذه المجلة بعد ما شهد بفضلها الخاص العام ولكن
يشق على الحر الكريم ان يطمع بعض ادعياء الكتابة في حلها ويشاهتون من كل فجح على تهضم
جانها وسلب حقوقها ويحس اشياؤها او ليس من الكياسة وسلامة الذوق ان تستأذن في
في نقل كل ما يراد نقله وهي لا ترد سائلاً ولا تمنع ناقلاً او تذكر على الاقل في مستهل
النقل او ختامه قضاء لواجب الادب ووفاء لحق الخدمة

ولعل بعض المنتصرين في سرقاتهم على المغرب في السياسة والعل يشبهون الامر ولا
يحسبون ذلك شيئاً كأن التعريب عندهم سهل المنال وبالتالي يجوز انتحال المغرب خلافاً لما
ألف او صنف لكن الواقع غير ما يتوهمون ولو وسع المقام لينت لم ان التعريب صعب
كالتأليف والتصنيف وكثيراً ما يكون اصعب منهما كليهما وان حق الكتاب في ما يعربه
كحقه في ما يؤلفه او يصنفه

فليت الكتاب البلاء والشعراء الادياء الذين قضا في مزاولة هذه الصناعة الشريفة
الاعوام والسنين وتعبوا ملكتها المروسة نهم بعرق الجبين لاجاء المعين يشبون حرباً
عواناً على سراق الشعر والنثر ويشددون عليهم التكبير في السر والجهري حتى يرعوا عن
هذا الامر الميب والله حسيبي واليه ائيب
القاهرة اسعد داغر